البحث عن السعادة الأبدية

وعن دين الأنبياء الذي لم يحرّف

الرسالة الخامسة

رسالة في بيان دين الديمقراطية

ووجوب الكفر به

وحقيقة هذه الفتنة

وأن من نجا منها أنجاه الله من فتنة

المسيح الدجال

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد الرحيم بن محمد الإبراهيم

رسالة فــي بيان
دين الديمقراطية ووجوب الكفر به
وحقيقة هذه الفتنة وأن من نجا منها
أنجاه اللّه من فتنة الأعور الدجال كما
قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (إبراهيم).

وبعد: اعلم أيها العبد أن الشيطان ـ لعنه الله ـ قد حرص أشد الحرص على أن تكون معه في جهنم أبد الآبدين، فهو الذي أخرج أبويك من الجنة، وهو الذي يسعى جاهداً بحرمانك منها.

وقد علمت أن الله عز وجل قد استخلفك على هذه الأرض لينظر كيف تعمل، وأقام عليك الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ولم يجعل حجته قائمة عليك إلى بذلك ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء).

لم يجعل حجته قائمة بأقاويل المبطلين، ولا ما أوحت به الشياطين على ألسنة علماء الضلالة بفتاوى يزجون بها الناس في جهنم، ولم يجعل حجته قائمة بزلّات علماء يضلون الناس بغير علم، وبقصد أو بغير قصد.

واعلم أنك ستموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك.

لن تحشر يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حاف عار

إلا وحدك، لن يحشر معك أحد من الخلق. فيسألك اللّه جلَّ وعلا عندئذ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (القصص).

لن يسألهم: ماذا أجبتم العالم الفلاني، أو الشيخ الفلاني، أو السيد الفلاني؟

وعندما يخلد أهل النار فيها يسألهم اللّه عز وجل: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون: ١٠٥).

لن يسألهم إلا عن بلوغ آياته إليهم، وتلاوتها عليهم، وسماعهم إيّاها، هذه هي حجة اللّه تعالى على عباده.

وقف نفسك عند هذا الحديث. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم. فيقول اللّه: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك**» رواه أحمد والبخاري.

فماذا أعددت لهذا السؤال؟ وماذا أعددت لهذه الأهوال؟

فاصدق مع اللّه عز وجل في فهم هذا الدين العظيم الفهم الصحيح الذي جاء عن الأنبياء ـ صلوات اللّه عليهم ـ ولا تقلد

الكبراء والسادات. فقد قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) ﴾ (الأحزاب).

واعلم أن الدين دينان: دين تركه لنا الأنبياء، ودين تركه لنا الآباء والأجداد والأسلاف والمتلاعبون بالدين الذين يخدعون الناس باسم الدين ويوردونهم المهالك في الدنيا والآخرة.

فانظر أيهما ترضى لنفسك؟ دين الأنبياء، أم دين الأسلاف والأكثرية من الناس الذي ذمَّه الله عز وجل بقوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ (يوسف).

في بيان فتنة الديمقراطية
وأن من نجا منها أنجاه الله من فتنة الأعور الدجال
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن كل فتنة صغرت أو كبرت ما هي في حقيقتها إلا تمهيداً لتلك الفتنة الكبرى التي هي على الأبواب في آخر عمر هذه الدنيا وهي فتنة المسيح الدجال، فهي أعظم الفتن على الإطلاق. كما جاء في الأحاديث، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا إلا لفتنة الدجال. ففي المسند عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**فتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال**» رواه أحمد.

فطواغيت العالم بأجناسها ورؤوسها ما هم إلا دجاجله قد هيؤوا أنفسهم لحكم العالم بالباطل، فهم ممهدون لذلك الدجال الأكبر، وأفكارهم وأديانهم ومناهجهم ما هي إلا فتن ممهدة لتلك الفتنة الكبرى. لذا جاء في الحديث المتقدم. في قوله صلى الله عليه وسلم: «**ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها**».

فإذا كان الإنسان قد استحسن أمر الشرك، واتخذ الديمقراطية له منهجاً والتزمه بأن نصب له مشرعاً مع الله ينوب عنه في البرلمان، ولم تسعفه نفسه من النجاة من تلك الفتنة وهي الشرك. فكيف له أن ينجو من فتنة الدجال التي هي أعظم وأطم؟!

وإذا كان قد استشكل عليه أمر الشبهات لتلك الديمقراطية المزخرفة وسدنتها التي يحيطون بها يزينونها للناس ليوردونهم موارد الشرك والهلاك. فكيف له أن يثبت أمام تلك الشبهات العظام التي يأتي بها ذلك الدجال. فقد جاء في الحديث الذي يرويه أبو داود وأحمد عن عمران بن الحصين عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: «**من سمع بالدجال فلينأ عنه، فواللّه إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات**».

بل قد أخبر النبي صلى اللّه عليه وسلم أن الآيات التي في سورة الكهف عاصمة من فتنة الدجال، وقد تضمنت هذه السورة أعظم معاني وآيات التوحيد والتي منها آية الحاكمية. قوله تعالى: ﴿**ولا تشرك في حكمه أحداً**﴾[1].

فإذا كان العبد قد اتخذ للّه سبحانه شريكاً في حكمه وشرعه فنصب ذلك المشرع الدستوري. ولم يعصم من فتنة الشرك والوقوع فيها. فكيف له أن يُعصم من فتنة ذلك الدجال اللعين؟!

نسأل اللّه عز وجل العزيز الرحيم أن يرحمنا ويعافينا من الفتن ما بطن منها وما ظهر وما تقدم وما تأخر.

---

(١) كما في قراءة عامر وهو من السبعة.

في ذكر أن الديمقراطية دين
وأن من التزم هذا الدين بأن نصب له مشرعاً
فقد دخل في دين الشرك المنافي لدين التوحيد

كنت أود أن لو تتصبر ـ أخي ـ دقائق معدودة للنظر في ذلك المصير الأبدي السرمدي، فقد أمرنا الله عز وجل أن نقي أنفسنا وأهلينا ناراً وقودها الناس والحجارة. في يوم تنقطع فيه الصلات والأنساب وتتقطع فيه الأسباب.

لقد خلق الله عز وجل السماوات والأرض بالحق، وأنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، فجاءت تلك الكتب مبينة عن الله تفرده وحده بالخلق والملك والتدبير، ومن كان هذا أمره وصفته وشأنه ـ جل وتقدس ـ كان ولابد أن يكون هو وحده المتفرد بالحكم والتشريع، فالذي له خلق السماوات والأرض وملك السماوات والأرض هو الذي له حُكم السماوات والأرض، وهذا من توحيد الربوبية الذي هو: إفراد الله سبحانه بأفعاله الخاصة بربوبيته. كالخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، والحكم والتشريع، وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ (يوسف).

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (الأعراف).

وقد جمع الله في هذه الآية ما بين الخلق والأمر، فكما أنه جل وعلا له الخلق وهذا من ربوبيته. فكذلك هو الذي له الأمر الذي هو الشرع والحكم.

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (القصص).

وكما أنه ـ أيضاً ـ سبحانه هو الذي يخلق من العدم. فكذلك هو الذي يختار ويحكم ويشرع ويأمر وينهى.

وتأمل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (القصص).

لأنه متى وصف الإنسان نفسه بأن له حرية الإختيار كان من المشركين. لقوله عز وجل في نفس الآية: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (القصص).

فكيف بالذي ينسب لنفسه الشرع المطلق والتشريع المطلق الذي هو لله ويأخذ صفة المشرع؟! هذا لا شك أنه يكون طاغوتاً. بل من أعظم طواغيت العالم. قال تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ (الأعراف).

وقد تقرر في أصول الملة أن كل فكرة أو منهج جاء لنسف أو تحريف توحيد الربوبية أو توحيد الألوهية، وفيها يجعل ما هو حقٌ للّه تعالى لغيره. أن هذا المنهج يكون ديناً غير دين الإسلام الذي جاء به الأنبياء.

وقد جاءت الديمقراطية لتصرف حق اللّه تعالى في الحكم والتشريع لغيره، وتجعل التشريع منوطاً بالبشر – سبحان اللّه عما يصفون – الذين هم أصحاب السلطة العليا وإليهم يرجع الأمر كله والشرع كله. إذ قد تأسس هذا الدين الكفري في العصور والقرون السالفة عندما ثار عبيد الشهوات على كنائسهم داعين إلى التحرر من سلطة الدين ـ المحرَّف أصلاً عندهم ـ وإلغاء حاكمية اللّه من أرضه وملكه، وذلك بأن يكون حقيقة الحكم والتشريع في الأرض للخلق لا للخالق سبحانه تحت مظلة الديمقراطية. هذا الدين الجديد الذي زخرفوه وزينوه وندبوا الناس إلى اعتناقه، فأضلوا به جبلاً كثيراً.

وقد انتدب لتزيين هذا الدين ـ في كل قرية أكابر مجرميها فخدعوا الناس وصوروا لهم هذه الديمقراطية أنها ما هي إلا جوانب من بعض الحريات التي يتمتع بها البشر، وهي في حقيقتها تحررات من عبودية البشر لخالقهم وخضوعهم له وتسليمهم لحكمه، فأوقعوا الناس في شرك الربوبية، ونصبوا المعابد الوثنية الطاغوتية في كل بلد لكي تأتي الشعوب وتنصب من ينوب عنها من الأرباب والمشرعين في هذه المجالس التشريعية.

فألغوا حاكمية اللّٰه تعالى من أرضه، وتحقق مرادهم بالتزام الناس لها ولزومها.

الديمقراطية بإصطلاح أهلها: الحكم للشعب، وأصلها يونانية. مدمجة من كلمتين (**ديم**) ومعناها الشعب و(**قراط**) ومعناها الحكم. فأدمجت الكلمتين فأصبحت كلمة واحدة (**الديمقراطية**) أي الحكم للشعب، وهي عكس كلمة (**الثيوقراطية**) والتي أصلها من كلمتين (**ثيو**) ومعناها الرب (**قراط**) ومعناها الحكم، أي الحكم للّٰه.

فالديمقراطية التي قامت عليها هذه المجالس التشريعية. بمفهومها الحقيقي والمعروف عند أهلها هو أن التشريع والحكم يكون للخلق لا للرب عز وجل، ونجد أن هذا التشريع المصروف يشمل التشريع الإداري والتشريع الديني الشرعي. كالتشريع في الأعراض والدماء والأموال والأنفس الذي هو حق محض للمولى سبحانه وهو من خصائص الرب عز وجل، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ (الشورى).

فسماهم اللّٰه تعالى بالشركاء والأرباب أيضاً لما صرفوا لهم أصل التشريع. قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ (التوبة).

فالديمقراطية - إذاً بهذا المعنى هي دين، لأن فيها نقضاً لتوحيد الربوبية: الذي هو إفراد اللّٰه تعالى بأفعاله. والتي منها التشريع والحكم.

اعتناق الإنسان لدين الديمقراطية ومفارقته لدين الإسلام الذي جاء به الأنبياء يكون بترشيحه والتصويت لمن ينوب عنه من المشرعين في سلطة التشريع (البرلمان) سواء كان ذلك منه بنية صالحة أو بنية فاسدة

ولا يدرك المرء مثل هذه الحقائق إلا بمعرفة أمر الجاهلية وأصل الديمقراطية التي تقدم معناها المجلي لحقيقتها.

- فإذا كان التشريع المطلق منوطاً بغير الله. فكيف لا يكون هذا هو الطغيان والكفر بعينه.

- وإذا كان الناس هم أنفسهم من يذهبوا لينصبوا من ينوب عنهم من المشرعين في هذه السلطة. فكيف لا يكون هذا هو الشرك ذاته.

- إن الذي يرشح مخلوقاً في السلطة التشريعية ما قدر الله حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه. كيف يعتقد أن الله تعالى هو المشرع وحده والحاكم بين خلقه فيما شرع ثم يذهب ليضع الإنسان المخلوق في منصب المشرع ويعطيه هذه الصفة.

- أي نية ومقصد حسن ينفع صاحبه وهو يأتي بهذه الأفعال الشركية التي تبطل الإسلام وتنقضه من أصله. فإن النية

الصالحة الحسنة لا تنفع صاحبها إذا كان العمل المصاحب لها غير مشروع. فكيف إذا كان هذا العمل شركاً بالله وكفراً به سبحانه.

- إن نفي الإنسان الشرك عن نفسه لا ينفعه بحال من الأحوال.

ألا ترى أن عدي بن حاتم لما نفى الشرك والعبادة عن نفسه في حق الأحبار والرهبان وذلك بقوله للنبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لسنا نعبدهم» لم ينفعه هذا النفي وهو قد تلبس بالشرك وعمل به. وذلك عندما صرف لهم أصل التشريع. فتلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣١).

ألا ترى أن مشركي هذا الزمان - من عباد القبور وغيرهم - الذين يدعون الإسلام والتمسك به. لما نفوا الشرك عن أنفسهم وأنهم على التوحيد الخالص لم ينفعهم هذا النفي وهم قد تلبسوا بالشرك وعملوا به.

وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» رواه الترمذي.

- إن مجرد دعوى الشيء مع وجود النقيض لا تنفع صاحبها.

ألا ترى أن مشركي الجاهلية الأولى لما ادعوا تلك الدعوى: أنهم حنفاء على دين إبراهيم لم ينفعهم ذلك.

قال ابن منظور في لسان العرب: «وكان عبدة الأوثان في الجاهلية يقولون: نحن حنفاء على دين إبراهيم»[١].

فإذا كان لم ينفع عبدة الأوثان دعواهم هذه أنهم حنفاء على دين إبراهيم وهم على الشرك. فكيف تنفع دعوى من ادعى أنه على دين محمد وأنه من أهل لا إله إلا اللّه وهو على الشرك.

- إن الذي يعتقد أن اللّه هو المشرع وحده ثم يذهب لينصب له مشرعاً موصوفاً بهذه الصفة. إنه بمنزلة ما كان عليه المشرك الجاهلي الذي سأله النبي صلى اللّه عليه وسلم كم إلهاً تعبد؟ فقال: سبعة في الأرض وواحد في السماء. فأمره النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يوحّد الذي في السماء ويترك الذين هم في الأرض.

وهذه حقيقة يجب الوقوف عليها، وإنكارها يعد كذباً على النفس. إذ لو سألت أحدهم: من هو مشرعك الذي تعتقد به؟ لقال لك هو اللّه سبحانه الذي في السماء.

ولو سألته أخرى: ومن هو مشرعك الحقيقي الذي اعتدت على ترشيحه واختياره بين الحين والأخرى؟

لقال لك: أربعة. وسماهم لك بأسمائهم.

(١) لسان العرب - مصدر (حنف).

إذاً هذا الرجل قد تعددت عنده الأرباب والمشرعون. فواحدٌ في السماء، وأربعة في الأرض. فوافق في هذا التعدد ذلك المشرك الجاهلي.

وقد قال الله تعالى: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ (يوسف).

فتأمل كيف بدأ الله الآيات بذكر تعدد الأرباب. وختمها بوحدانية الحكم له جل وعلا. وذلك بقوله سبحانه ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾.

وهذه حقيقة شرعية حكمت وشهدت بها العقول، والفطر السوية، وجميع الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. لا يمكن أن ينكرها أحد. ولكن المستنكر هنا وهو ما أود الوقوف عليه: هو ما لبَّس به إبليس على كثير من المخدوعين بهذه الديمقراطية. عندما نصبوا هؤلاء المشرعين وسوغوا لأنفسهم فعل ذلك بحجة دعوى الإصلاح، والنوايا الصالحة، وغير ذلك.

فأقول: أي إصلاح يدعيه هؤلاء وهم يشركون بالله ويجعلون

له أنداداً؟! فأي مصلحة أعظم من مصلحة التوحيد؟! وأي مفسدة أعظم من مفسدة الشرك؟!

وأما دعوى أن نواياهم صالحة فإنها دعوى باطلة وفاسدة ومردوده على أصحابها. وذلك أن النوايا الصالحة ـ كما تقدم ـ والمقاصد الحسنة لا ينتفع بها أصحابها إذا كان العمل المصاحب لها غير مشروع. فكيف إذا كان هذا العمل شركاً باللّه وكفراً به سبحانه.

إن مثل هؤلاء المعتدين على حق اللّه تعالى في الحكم والشرع. كمثل أناس انتهبوا نهبه بسطوتهم على مُلك غيرهم وسرقة ما فيه، فلما دعوا للمحاسبة تعددت أقاويلهم وأعذارهم.

فمنهم القائل: إني لم انتهب تلك النهبه إلا وأنا أرى أن لي الأحقية في ذلك.

ومنهم من يعترف ويقر بأن ليس له الأحقية في هذا المال وإنما هو لصاحبه، وإنما حمله على ذلك أمور أخرى. كالمقصد الحسن والنية الصالحة لجعل ذلك المال ـ مثلاً ـ في بعض وجوه الخير، ونحو من ذلك.

فمن المعلوم عند الجميع وفي ميزان العقل والشرع والعرف والواقع أن هؤلاء جميعاً بلا استثناء هم سراق ولصوص ومعتدون على حق غيرهم، ولا يمكن استثناء بعضهم دون الآخر.

فيقال مثلاً: من أخذ هذا المال بمقصد سيء فهو سارق، ومن أخذه بمقصد حسن فليس بسارق.

هذا حكم العقلاء والحكماء والعلماء فيهم.

فإذا كان لا يمكن أن يُفَرَّق ما بين المقاصد وأهلها فيمن اعتدى على حق غيره وملكه وأخذه. فكيف يفرق بين المقاصد وأهلها فيمن اعتدى على حق رب العالمين المطلق الخالص في الحكم والتشريع.

كلهم سواء، وجميعهم متعدٍ على حق اللّه في الشرع والحكم. المفسد منهم ومدعي الإصلاح. كلهم طواغيت قد نازعوا اللّه هذا الحق الخالص، ومن رشحهم وصوَّت لهم من عامة الناس وجعلهم في هذا المكان ـ بعد العلم بما هم عليه من أمر التشريع ـ فهو مشرك باللّه وربوبيته. كان ذلك منه بنية صالحة أو نية فاسده. هو مشرك باللّه.

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾

إن أعظم ما يمكن ضربه من الأمثله هو في باب التوحيد و الشرك، وقد أكثر الله عز وجل من ذلك في كتابه. فالشرك مستنكر فطرةً وعقلاً قبل أن يكون مستنكراً شرعاً.

ومن الأمثلة في ذلك على مسألتنا هذه: أننا لو تصورنا أن هناك مجلساً أو سلطة في دولة يحكمها فئة من غلاة الصوفية ابتدعوا لهم مجلساً أسموه بـ(**مجلس الرزق**) أو (**سلطة الرزق في الدولة**) ينسب لأعضاء هذا المجلس أمر (**الرزق من العدم**) لأقطابهم المزعومين. وكل عضوٍ منهم موصوف بأنه (**رازق**) ولهم دستور يتحاكمون إليه ينص على هذه الأمور، والشعب في هذه الدولة يأتي وينصب من ينوب عنه من الأعضاء الرازقين. وكل مستوطن في هذه الدولة يرشح له أربعة رازقين في هذه السلطة. فهم يمثلونه وينوبون عنه في هذا المجلس، وقد اختلف الناس في عقائدهم في ذلك. فمنهم من هو معتقد بهم، ومنهم من ليس بمعتقد بهم، وإنما يقوم بترشيحهم من أجل مقاصد دنيوية أو إصلاح شرعي مزعوم حتى لا يتركها لأهل الفساد.

فالسؤال هنا: ما حكم من رشح له رازقاً في هذا المجلس وهو ليس بمعتقد به. وإنما لأجل الإصلاح؟!

وهل اعتقاده بأن الله هو (**الرازق وحده من العدم**) وهو يفعل

نقيض ذلك من نصب مخلوقاً يصرف وينسب له أمر (**الرزق**) هل هذا الاعتقاد سوف ينفعه؟!

وما الفرق بين من رشح له مخلوقاً يصرف له أمر (**الرزق**) الذي لا يكون إلا للّه عز وجل، وبين من رشَّح له مخلوقاً يصرف له أمر (**الحكم والتشريع المطلق في الدين**) الذي لا يكون إلا للّه؟! وقد علمنا أن كلا الأمرين والفعلين (**الرزق، والتشريع**) من أفعال اللّه تعالى الخاصة بربوبيته، وأنهما من توحيد الربوبية.

الله عز وجل يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصف من عرض عليه ملك الدنيا وسيادتها وكفرهم معها بأن يقول لهم: يا كفار

نحن أمة علم ـ أمة عظيمة ـ وليست أمة جهل. قد أنزل اللّه تعالى إلينا كتابه وجعله تبياناً لكل شيء. وقال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ وعلمنا كيف نتعامل مع الكافرين إذا عرضوا علينا كفرهم وأديانهم، وجعل نبينا صلى اللّه عليه وسلم هو قدوتنا وقائدنا في هذا الأمر. عندما عرضت عليه قريش ملك الجزيرة على أن يكون هو سيدها وملكها، وهذه حقيقة لأن قريشاً كانوا هم أسياد العرب وملوكها وغالبية القبائل هي تبع لقريش.

فقالوا في ذلك ما قالوه: «إن كنت تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا».

وفي رواية: «فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا ما بقيت».

«وإن كنت تريد شرفاً. فنحن مشرفوك حتى لا يكون أحد من قومك فوقك ولا نقطع الأمور دونك».

إلى غير ذلك مما هو مبسوط في السيرة في سبب نزول الآيات التي في سورة الإسراء والفرقان وأوائل فصلت والكافرون

والزمر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (الزمر). في ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس[1].

وذلك في ما عرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم مقابل أن يتنازل ويلين لهم ويتابعهم ولو بالشيء اليسير على دينهم ولا يشتم آلهتهم ويذكرها بسوء.

أتعلم ماذا قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدما عرضوا عليه ذلك الملك والسيادة والشرف؟!

قال لهم: يا كفار! نعم قال لهم: يا كفار!!

أمره الله عز وجل أن يصفهم بأقبح وصف: وهو وصف الكفر، وأنزل عليه سورة الكافرون فبدأها بوصفهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾﴾ وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (الزمر).

ولا يقولن قائل هنا إن قريشاً دعوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ترك ما عليه من الدين، بل قد كانت الدعوه له مقابل أن يتنازل ولو بالشيء اليسير عن دينه فيعبدون الله وحده ويعبد

(١) وفي ما رواه أيضاً ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس وابن عمر وجابر.

هو آلهتهم فترة من الزمن. وقد جاء في رواية ابن إسحاق وابن مردويه عن ابن عباس قال: «إن أمية بن خلف وأبا جهل ورجالاً من قريش أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقالوا: تعال فاستلم آلهتنا وندخل معك في دينك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم فرقَّ لهم. فأنزل الله قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (الإسراء) أهـ.

فالمقصود أن الدعوة إلى عبادة غير الله تأتي على أحوال، وذلك أن الله تعالى قد بيَّن أن الحكم بما أنزل الله والتحاكم عباده.

قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **ولا تشرك في حكمه أحداً** ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾.

فمن دعا إلى أن يكون الحكم لغير الله وحده فقد دعا إلى الشرك والكفر وعبادة غير الله.

إذاً بمفهوم وعقلية مدعو الإصلاح: أن هذه تعتبر سذاجة وغلظه، ووصف قبيح لا يتماشى مع الروح الإنسانية ولا هي

لغة الحوار الصحيح. كيف يلينون له كل هذا اللين ويعرضون عليه السيادة والملك التي من خلالها يتم نشر دين الإسلام شيئاً فشيئاً حتى تكون له الهيمنة. ثم إذا به يرفض تلك العطية العظمى، بل ويرد عليهم بأقبح عبارة: ويقول لهم يا كفار.

هذه هي العقلية التي لا تستنير بنور القرآن وإنما امتلأت بظلمة الاستحسانات التي زينها الشيطان لهم. لذا تجدهم يتقاتلون فيما بينهم على كرسي في برلمان يتلاعبون به عليهم يلجون به كل باب ردة يرتدون به عن دينهم. هذا فضلاً عن كونهم طواغيت قد نازعوا الله حقه الخالص في التشريع بأخذهم لتلك المناصب.

فالحاصل من ذلك أن من استجاب لله عز وجل أقام الله له دولة الإسلام في المشرق والمغرب. قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**» رواه أحمد.

ومن لم يستجب لله عز وجل واستحسن ما ألقاه الشيطان في رأسه خذله الله، ووكله إلى نفسه وإلى من ركن إليهم من الطواغيت حتى صار منهم. فأنَّى له الهدى والفلاح.

إن اللغة التي ينبغي أن يسلكها المسلم مع هؤلاء الطواغيت المعبوده من شياطين الإنس الذين يصدون الناس عن دين الله:

هي لغة الحديد، ولولا لغة الحديد لكنا الآن ممن يعبد الأصنام والأوثان واللات والعزى. فما قامت دولة للإسلام إلا بلغة الحديد. قال تعالى في سورة الحديد: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ (الحديد).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد**» رواه أحمد والترمذي.

ومن لم يستطع أن يسلك لغة الحديد فعليه أن يتمسك بأصل التوحيد ولا يشرك بالله شيئاً لعله أن ينجو من عذاب الله، وتناله رحمة الله، وجنته وكرامته.

وأما من يريدوا أن يقيموا الإسلام بلغة الحوار فهؤلاء لم يعرفوا الإسلام ولا قرؤوا القرآن. فلا يمكن اعتبار ما هم عليه من دعوى الإصلاح إلا أماني وأكاذيب يكذبون بها على أنفسهم وعلى الناس ليجعلوهم مطايا يرتقون رقابهم للوصول إلى كفرهم وشهواتهم المعبودة.

فصل
في بيان طاغوت الدستور
ووجوب الكفر به لصحة الإسلام

إن الحكم على الشيء متوقف على ما بني عليه من أصل وأساس. فإذا كان الدستور قد بني على أن أصل التشريع المطلق الذي هو لله (في الأعراض والدماء والأموال والأنفس) هو حقٌّ محض للشعب منوطاً بهم، وهم أصحاب السلطة العليا في التشريع، وسلطتهم هذه تعلو على سلطة الشرع، والله جل وعلا ليس له الحق الخالص في التفرد بالتشريع. فكيف لا يكون هذا الدستور طاغوتاً يجب الكفر به؟! بل هو من أعظم الطواغيت المعبودة، والكفر به من أوجب الواجبات.

وذلك أن الدستور يقول: (إن الحكم إلا للشعب).

والله عز وجل يقول: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾.

هذا فضلاً على ما احتواه هذا الدستور في طياته من المواد الكفرية التي فيها نقض للإسلام والمله.

- فلا جريمة إلا بقانون.

- وعضو مجلس البرلمان حر فيما يبديه من الآراء والكفر، لا يآخذ على ذلك بحال من الأحوال.

ـ ولا يصدر قانون إلا برأي الأغلبية.

ـ والناس سواسية لا فرق بينهما بدين ولا جنس.

ـ والنظام في الدولة ديمقراطي السيادة فيه للأمة. ليس للّه ودينه وأمره وشرعه.

إلى غير ذلك من المواد التي فيها إبطال للدين والخروج عن عبودية رب العالمين.

وقد تقرر في أصول الملة أن كل ما خالف أمر اللّه وشرعه من نهج أو دستور أو قانون فتحوكم إليه. فهو طاغوت. قال اللّه تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ (النساء: ٦٠).

ولا يخفى ذلك على ذي علم وبصيره، ولكن الذين أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قد شغفت قلوبهم وأنفسهم بهذا الدستور، حتى أصبحوا سدنة يزينونه للناس، ولا يظهرون منه إلا ما وافق تلك الرغبات العامة ويتلاعبون على كل وتيرة.

فإن رأوا من يريد الحريات ضربوا على ذلك الوتر وأوردوا من هذه المواد ما يحرك تلك المشاعر والرغبات.

وإن رأوا من يريد الحقوق وما دعت إليه المبادئ الإنسانية العامة ضربوا على ذلك الوتر وأوردوا من تلك النصوص والمواد ما يتماشى مع تلك المرادات.

وإن رأوا من يريد الإسلام بحثوا في هذا الدستور لعرض ما

يمكن عرضه من مواد قد تتوافق مع الإسلام من النظرة والناحية العامة. وقد علموا ـ لعنهم الله ـ أنهم لم يضعوا هذا الدستور إلا لهدم الإسلام، لم يضعوه من أجل الإسلام طرفة عين، وإنما من أجل أن أديان الشعوب لابد أن يقتبس منها ولو أسماء وزخرفات لا حقيقة لها تنسجم مع هذا الدستور.

زد على ذلك دعوتهم واشتراطهم بأن يلزم كل عضو من أعضائهم القسم على احترام هذا الدستور.

فمن غير حياء ولا استحياء يقسمون بالله عز وجل وباسمه الجليل أن يحترموا كفرهم ونديتهم لله، ويحترموا تلك الطواغيت المعبودة من مواد وقوانين، وهي ردة ارتدوا بها عن الإسلام. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ (التوبة: ٧٤).

هذا فضلاً عن كونهم لم يكفروا بالطاغوت الذي اشترط الله عليهم الكفر به لصحة الإسلام. قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة: ٢٥٦). والعروة الوثقى: هي الإسلام.

بل أقسموا على احترامه والإخلاص له.

ولما اشتد النكير عليهم لهذا الكفر الشنيع. قالوا: إننا نقسم ونستثني أو نضمر في قلوبنا بما يخالف ذلك، وهذه آفة من آفات

الجهل بالله ودينه. إذ نطقوا بلا إله إلا الله من غير معرفة بما قد تضمنته هذه الكلمة من النفي والإثبات. من نفي الطواغيت والكفر بهم، ولو أدركوا هذه الحقيقة الشرعية لقالوا: «نقسم بالله العظيم أن لا نحترم هذه الدساتير والقوانين إلا ما فيها من حق».

فيفنون ما فيها من الباطل والكفر أولاً. ثم يستثنون الحق منها ويثبتونه.

(**فلا إله**) نفي للكفر والباطل.

(**وإلا الله**) إثبات للحق وحده.

كما قال إمام الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الزخرف).

فتبرأ من كفرهم وباطلهم أولاً. ثم استثنى الحق منها وهو عبادة الله وحده.

وكذا قولهم: نقسم على احترام هذه الدساتير والقوانين. ونزيد في قولنا: بما وافق الإسلام.

فيه إثبات للكفر والباطل ثم إثبات للحق. وهو مبطل للا إله إلا الله المتضمنة لنفي الكفر أولاً ثم الإثبات. لا أن يثبت الكفر والباطل ثم يثبت الحق، وذلك أنه لا يصح أن يقول الإنسان أقسم بالله العظيم أن أحترم اللات والعزى إذا وافقت الإسلام أو على

هدي الإسلام. فإن الإسلام لم يأت إلا بالكفر باللات والعزى وغيرها من الطواغيت.

وأيضاً فإن ما يقع في القلوب من الإضمار هنا لا ينتفع به صاحبه إلا في حالة الإكراه الملجئ للكفر بشروطه من تعذيب النفس المفضي إلى الهلاك.

وهو سبب نزول الآية في عمار عندما لحقه من عذاب المشركين ما لحقه. فأنزل الله هذه الآية ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ (النحل: ١٠٦) هذه هي صورة المكره. لا أن يذهب الإنسان برجليه إلى الطاغوت متبخّراً متعطّراً قد لبس أحسن الثياب في أحلى أيام حياته ليكفر بالله ثم يكذب على نفسه وعلى الناس بأنه مكره.

هذا إذا أخذنا بهذه الاعتبارات والحقائق الشرعية. وإلا فقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه مسلم: «**اليمين على نية المستحلف**» كافٍ هنا ومبطل لما قد ادعاه هؤلاء المدعون، إذ لم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم اليمين هنا على نية الحالف، وإنما على نية من استحلفه على ذلك، ولو كان الأمر كذلك بأن اليمين على نية الحالف لفسدت عقود الناس وشروطهم وعهودهم، ولفتح الباب لكل متلاعب ليتلاعب بهذا الدين وبحقوق الناس وأمورهم.

والحمد لله الذي حَكَم فَعَدل، وَبيَّن وأبطل. حجج المتلاعبين بهذا الدين، والله المستعان.

هذا وقد ورد في مثل هذه المسألة قوله عز وجل: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ (الإسراء).

وجاء في سبب نزول هذه الآية فيما رواه ابن جرير وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فمنعته قريش وقالوا: لا ندعه حتى يلم بآلهتنا. فقال صلى الله عليه وسلم «**ما عليَّ أن أُلمَّ بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر، والله يعلم أني لها كاره**». فأبى الله. فأنزل هذه الآية.

وفي رواية ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر فقالوا: لا ندعك تستلمه حتى تستلم آلهتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وما عليّ لو فعلت والله يعلم مني خلافه**» فأنزل الله ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ إلى قوله ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ الآية).

وفي رواية ابن إسحاق وابن مردويه عن ابن عباس قال: «إن أمية بن خلف وأبا جهل ورجالاً من قريش أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: تعال فاستلم آلهتنا وندخل معك في دينك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم فَرَقَّ لهم. فأنزل الله ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾».

فصل في ذكر

أن الإنسان إذا اعتقد عقيدة الإيمان والتوحيد وأقر بذلك ثم جاء بما يناقض هذا الإيمان من أفعال فإنه لا ينفعه قول لا إله إلا الله ولا ما ادعاه من الإيمان والإسلام

إن دعوى صلاح النية مع وجود النقيض دعوى باطلة لا عتبار لها في الشرع. قد ردها الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولقد ادعى قوم صلاح السريرة والإيمان ثم جاؤوا بما يناقض هذا الإيمان من أعمال لا يستقم معها إيمانٌ وإسلام. فنفى الله تعالى عنهم ذلك الإيمان. كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (النور).

فهؤلاء قد جاؤوا بالإيمان والاعتقاد السليم بقولهم ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ فكان جواب المولى سبحانه على ذلك ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ وما ذلك إلا لأنهم تولوا وأعرضوا عن العمل الذي هو التحاكم إلى الشرع. كما قال تعالى في الآية التي بعدها. فإذا كان مجرد الإعراض يكون فيه الإيمان منتقضاً. فكيف بالمجيئ بالنقيض وبالأفعال التي تضاد الإيمان من كل وجه؟! لذلك سمى

الله عز وجل إيمان المتحاكمين إلى الطاغوت زعماً. كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ (النساء).

والنصوص التي جاءت في تقرير هذه المسألة كثيرة ومستفيضة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لولا ضيق هذه الورقات لأوردتها نصّاً نصّاً، وهي متقرر في أصول التوحيد ومعتقد أهل السنة. ولكن أكتفي هنا بإيراد شيء منها. منها ما رواه ابن جرير في تفسيره وابن أبي حاتم في قصة فداء العباس نفسه لما خرج مع المشركين مكرهاً في غزوة بدر مكثراً سوادهم. فعامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الكفار بأن جعله يفدي نفسه. فقال العباس (يا رسول الله ألم نصلِّ إلى قبلتك ونشهد شهادتك؟) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عباس إنكم خاصمتم فخصمتم» وقال له أيضاً (يا رسول الله إني كنت مكرهاً) فقال صلى الله عليه وسلم: «**أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى الله**».(١)

فها هو العباس قد خرج مع المشركين في غزوة بدر مكثراً لسوادهم. مع العلم أن اعتقاده اعتقاد المسلمين، ولكن ظهر منه عمل مناف ومناقض لهذا الاعتقاد. فعامله النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وأصل قصة الفداء مروية في البخاري.

معاملة الكفار. بأن جعله يفدي نفسه، ولم يجعل هناك اعتبار لما وقر في قلبه من السريرة الحسنة والنية الصالحة. وهذا واضح في قوله صلى اللّه عليه وسلم: «**أما ظاهرك فكان علينا وأما سريرتك فإلى اللّه**».

وروى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ قال: (إن أناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أَمَّنَّاه وقربناه وليس إلينا في سريرته شيء. اللّه يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنه).

فتأمل قوله (ومن أظهر لنا سوءاً لم نؤمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنه).

وهذا أصل من أصول الدين والشريعة أن الأحكام تكون على الظاهر. أما السرائر والقلوب فليس لنا أن نفتشها، أو ننقب عما فيها، أو نلتفت إليها. إذا جاء الإنسان بما يناقضها في الظاهر. وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم «**إني لم أؤمر أن أنقِّب قلوب الناس ولا أشق بطونهم**» رواه البخاري.

يقول العلامة الشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبداللّه أبابطين رحمهم اللّه أجمعين: (فلابد من شهادة أن لا إله إلا اللّه من اعتقاد بالجنان، ونطق

باللسان، وعمل بالأركان، فإن اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً، فإذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ثم حدث منه قول، أو فعل، أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه قول لا إله إلا اللّه، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة وكلام أهل العلم أكثر مما تحصر)أهـ.[(١)]

وقد بوَّب الآجري - رحمه اللّه - في كتابه الشريعة باباً فقال: (باب القول بأن الإيمان تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، لا يكون مؤمناً إلا أن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاث)أهـ.

ويقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه اللّه - في رسالته كشف الشبهات: (لا خلاف أن التوحيد لا يكون لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل. فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً)أهـ.

وقال أيضاً رحمه اللّه: (واعلم رحمك اللّه أن دين اللّه يكون على القلب: بالاعتقاد والحب والبغض، ويكون على اللسان: بالنطق وترك النطق بالكفر، ويكون على الجوارح بفعل أركان الإسلام وترك الأفعال التي تكفِّر. فإذا اختل واحد من هذه الثلاث كفر وارتد) أهـ.[(٢)]

ويقول العلامة الشوكاني رحمه اللّه: (إذ ليس الشرك هو

(١) الدرر السنية (٢/٣٥٠) (١١/٦٨٦).

(٢) الدرر السنية (٨/٨٧).

مجرد إطلاق بعض الأسماء على بعض المسميات، بل الشرك هو أن يفعل لغير اللّه شيئاً يختص به سبحانه، سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو أطلق عليه اسماً آخر، فلا اعتبار بالاسم فقط) أهـ.[١]

فتأمل قوله (بل الشرك هو أن يُفعل لغير اللّه شيئاً يختص به سبحانه).

(١) الدر النضيد، ص ١٨.

المنتسبون للدين يصدّون الناس عن دين الأنبياء ويتجاهلون حقيقة الديمقراطية فيخدعون الناس باسم الدين ويزجّون بهم في جحيم الشرك والخلود في النار

ليس هناك شيء أعز على اللّه تعالى من دينه وتوحيده. وقد قال تعالى في حق أنبياءه ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ (الأنعام).

وقال تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ (الزمر).

وقال تعالى في حق المسيح ومن غلا فيه وعبده ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾ (المائدة).

لن يملك أحد من اللّه شيئاً إن أراد أن يهلك من شاء من عباده ومن في الأرض جميعاً، وذلك أن اللّه عز وجل لم يقم السماوات

والأرض إلا من أجل هذا الدين العظيم. فمن عظَّمه وأخذه بحقه رفعه اللّه وأعز شأنه، ومن أعرض عنه واشترى بآيات اللّه ثمناً قليلاً لعنه اللّه وأذله حتى لا يبالي في أي وادٍ هلك. فليس هناك شيء أعز على اللّه من دينه وبيان توحيده.

والعلماء الربانيون هم الذين جمعوا ما بين العلم والعمل. فتجردوا لبيان هذا العلم الذي ورثوه عن الأنبياء، ولم يشتروا بعهد اللّه ثمناً قليلاً. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٣٩﴾﴾ (الأحزاب).

قال ابن مسعود (ليس العلم بكثرة الرواية ولكن العلم الخشية).أهـ.[١]

يقول ابن القيم (لم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا على العلم الذي يصحبه العمل. كما سئل سعد بن إبراهيم الزهري عن أفقه أهل المدينة قال: أتقاهم. وسأل فرقد السبخي الحسن البصري عن شيء، فأجابه. فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن: ثكلتك أمك فُرَيْقِدُ وهل رأيت بعينيك فقيهاً. إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الذي لا يهمز من فوقه، ولا يسخر بمن دونه، ولا يبتغي على علم علَّمه اللّه تعالى أجراً) أهـ.[٢]

---

(١) رواه الطبراني وأحمد في الزهد.

(٢) مفتاح دار السعادة.

هذه صفة العلماء الربانيين، هم الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.

أما العلماء الذين يفتون الناس فيوقعونهم في الشرك والمخالفات بعد العلم بحقيقتها، ويفتون لهم نصب المشرعين والأرباب مع الله. فهؤلاء ليسوا بعلماء ربانيين، وإنما هم علماء ضلاله يصدون الناس عن سبيل الله، ويزداد الأمر وضوحاً إن كانوا قد ركنوا إلى الذين ظلموا وطغوا، وأخذوا على ذلك ما سعوا إلى أخذه من حظوظ الدنيا، والأموال، والمناصب، وغير ذلك. فكانوا بمنزلة الأجراء على الدين بالإفتاء باسم الدين.

قال الفضيل بن عياض: (سئل ابن المبارك من السفلة؟ قال: الذي يأكل بدينه).[١]

وكذا قال مالك بن أنس عندما سئل: (من السفلة؟ قال: من أكل بدينه. فقيل: من سفلة السفلة؟ قال: من أصلح دنيا غيره بفساد دينه).[٢]

فكيف تثق الأمة بعالم هو أجير على علمه يفتي بالشرك بعد الاستبانه منه.

وقد بوب الإمام محمد بن عبدالوهاب باباً في كتاب التوحيد.

---

(١) رواه ابن عساكر والبيهقي.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

فقال: (باب: من أطاع العلماء والأمـراء في تحليل ما أحل الله وتحريم ما أحل الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله).

وأما قوله سبحانه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

فهذه الآية لها تتمة وهو قوله عز وجل ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (النحل).

وهذا فيه دليل على أن العالم إذا لم يأتِ بالبينة من عند الله عزوجل والبرهان القاطع المحكم على ما أفتى به فإن قوله يكون مردوداً عليه.

وأحوال العلماء مع هذه المجالس التشريعية على أربعة أقسام:

القسم الأول: الذين لا يعلمون أحـوال هذه المجالس، ولا يعلمون حقيقة دين الديمقراطية. فهؤلاء يبين لهم.

القسم الثاني: الذين يعلمون حقيقة هذه المجالس، ولكنهم سكتوا عن البيان. يتأولون لأنفسهم أنهم مكرهون، فهؤلاء الحاكم فيهم، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ (النساء).

القسم الثالث: المنتسبون للعلم، الذين عكفوا على كتب الآله وعلومها فخدعوا الناس بما قد جمعوه في هذا الباب من علوم، وهم لا يعلمون أساس دعوة المرسلين، ولا ما بعث به الأنبياء من التوحيد الخالص واجتناب الطاغوت والكفر به. فهؤلاء هم المناوؤون لأصحاب هذه الدعوة، الذين يلمزونهم ببدعة الخوارج التي لم يسلم منها كثير من أئمة الهدى. من أمثال الإمام ابن تيمية وابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النونيه:

من لي بشبه خوارج قد كفروا
بالذنب تأويلاً بلا إحسانِ
ولهم نصوص قصَّروا في فهمها
فأتوا من التقصير بالعرفانِ
وخصومنا قد كفرونا بالذي
هو غاية التوحيد والإيمانِ
ومن العجائب أنهم قالوا لمن
قد دان بالآثار والقرآنِ

أنـتـم بـذا مـثل الخـوارج إنهم
أخـذوا الظـواهر مـا اهـتـدوا لمعانِ
فانظر إلى ذا البهت هذا وصفهم
نـسـبـوا إلـيـه شـيـعـة الإيمــانِ
شــتـان بــين مـكـفِّـر بالسنة
العـلـيـا وبـين مـكـفِّـر بالعصيانِ

القسم الرابع: علماء تجردوا لبيان الحق والصدع به، لا يخافون في اللّه لومة لائم. امتلأت بهم غياهب السجون، وابتلوا بلاء شديداً، ومنهم من قتل في ذلك أبشع قتله، ومنهم من دفن في مقبرة العلماء وهم أحياء، فليس لهم وليٌّ إلا اللّه عز وجل الذي نَزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وهؤلاء لا نبالغ إن قلنا أن أعدادهم قد بلغت العشرات، ويشهد لهم بالعلم من هم علماء مثلهم، ولكن شاء اللّه عز وجل أن يبتلوا بسنة الإيذاء فكانت السجون هي مأواهم. فابتلوا كما ابتلي الذين من قبلهم، وهي سنة الأنبياء ومن تابعهم على دينهم. كما قال عز وجل لنبيه صلى اللّه عليه وسلم «**إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**». رواه مسلم.

فكانت على مر العصور: فابتلي في ذلك نبي اللّه عيسى عليه السلام، والحواريين من بعده، فقتل منهم من قتل، وسجن منهم

من سجن، وطورد منهم من طورد على يد اليهود في ذلك الوقت. حتى لجأووا إلى الجبال والكهوف. فكانت هي مأواهم.

وابتلي في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة أشد بلاء حتى تفرقوا في الأمصار الحبشة وغيرها، وعذب منهم من عذب، وحوصروا في الشعب والجبال.

وابتلي في ذلك أهل السنة في زمن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ومن معه في حادثة المأمون وفتنة خلق القرآن. فصبر من العلماء من صبر، وقتل منهم من قتل، وسجن منهم من سجن.

ولا تزال هذه الإبتلاءات تعترض أئمة الهدى والحق في عهد ابن تيمية وغيره. حتى كانت السجون مأواهم.

ولا تزال أيضاً هذه الابتلاءات تمر على من عاش غربة هذا الدين فوجدها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن معه في بداية دعوته في عيينه وقبل هجرته إلى الدرعية وبعدها، وابتلوا في ذلك أشد ابتلاء، حتى مكَّنه الله عز وجل.

ولا تزال هذه الابتلاءات تصيب أهل الإيمان. فتكون السجون والجبال والكهوف هي مستقرهم وملجؤهم.

فهؤلاء هم العلماء الربانيون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون.

أما السَّفلة الذين يأكلون باسم الدين ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل. فهؤلاء ليسوا من الله في شيء.

نعم. إنهم سفله، والسافل من العلماء هو الوضيع الذي رضي بالدنو فرفض رفعة الله تعالى التي أراد أن يرفعه بها. فآثر ما هو أسفل على ما هو أرفع وأعلى. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف).

فهو رضي بعد هذا الإنسلاخ أن يخلد إلى الأرض، ويتبع هواه، ويؤثر أمر دنياه على دينه ويكون من السافلين، وهو يوم القيامة في النار تحت أقدام من كان سبباً في ضلالهم في أسفل السافلين. كما قال تعالى عن أهل النار ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (فصلت).

وهذا الصنف من المنتسبين للعلم قد امتلأت بهم شاشات التلفاز فعرفهم القاصي والداني، حتى أصبحوا أشهر من نار على علم، يشار إليهم بالبنان. ويكفي في ذلك أن الطاغوت قد رضي عنهم وقربهم وأبرزهم إلى تلك المناصب من الإفتاء واللجان والهيئات وأظهرهم على شاشات التلفاز. حتى ظن العامة من الناس أن العلم محصور فيهم، وما عداهم من العلماء فهم ليسوا بعلماء. مع العلم أن هؤلاء أنفسهم يعلمون علم اليقين

أن أصحابهم الذين زجوا في السجون وقتلوا هم من أكبر العلماء على وجه هذه الأرض، ولكن شاء اللّٰه أن يبتلوا فتكون السجون هي مستقرهم.

هذه هي غربة الدين، وأحوال العلماء مع هذه الغربة وهذه الجاهلية، وهذه هي حقيقة دعوة الأنبياء، نسأل اللّٰه عز وجل أن يبصرنا بها وبسبيل المجرمين، وأن يجعلنا هداة مهتدين.